الدعوة للطاعة

نظرة على الكنيسة الأولى

دعونا اليوم نلقي نظرة سريعة على هذه الفترة. **في الثلاثمائة سنة الأولى، كان للكنيسة تأثير متزايد على العالم. لكن الآن، في خلال السنوات الأخيرة في أمريكا، أصبح للعالم تأثير متزايد على الكنيسة.** فما هو الخطأ لدينا إذن؟

نلاحظ اليوم أن الثلاثمائة سنة الأولى من حياة الكنيسة كانت **أكثر السنوات إنتاجية في المسيحية**. وكان هذا على الرغم من أن الكنيسة واجهت عداءً مهولاً خلال تلك السنوات الثلاثمائة، حيث استشهد ما يصل إلى مليوني مسيحي. **بالطبع، كان الرب يسوع هو أول من استشهد، ثم تبعه استفانوس الشماس ثم مات معظم رسله على النحو التالي:**

برثولماوس انتزعوا جلده حيًا وقطعوا رأسه.

يعقوب الصغير رجموه بالحجارة وضربوه حتى الموت.

أندراوس صلبوه حيث ربطوه على صليب على شكل حرف X ومن هناك ظل يكرز ويبشر لمدة يومين على الأقل قبل أن يموت في النهاية.

بطرس الذي رفض إنكار إيمانه صلبوه منكس الرأس حسب طلبه.

توما طعنوه برمح.

يعقوب الكبير قطعوا رأسه.

فيلبس ألقوه في السجن وجلدوه وأخيرًا صلبوه.

متى سمروه على الأرض وقطعوا رأسه في إثيوبيا، مع إن الغنوسيين يقولون إنهم غطوه بالقار وأشعلوا فيه النيران.
يهوذا (تداوس) إما صليوه أو ضربوه حتى الموت في الرها في تركيا.
سمعان الغيور صلبوه في السامرة.
يوحنا الحبيب الرسول يقول التاريخ إنهم أُلقوه في الزيت المغلي في روما لكنه نجا وعاش حتى بلغ الشيخوخة. وهو الوحيد الذي مات ميتة طبيعية بلا عنف.(المصادر: كتاب فوكس عن الشهداء، كتبه جون فوكس، ١٥٦٣م؛ وكتاب مرآة الشهداء بقلم تيليمان جي فان براغ، ١٦٥٩م).

فيما يلي بعض الوسائل الإضافية المستخدمة في تعذيب المسيحيين وقتلهم. كانوا يضعونهم حتى الموت على صفائح من حديد ساخن، ويلقونهم إلى نمور وأسود جائعة، ويربطونهم ويسحبونهم بالخيول حتى الموت، وينزعون أحشاءهم، ويحرقونهم على الأوتاد، ويمزقونهم، ويعذبونهم بإطلاق السهام على وجوههم وعيونهم، ويسكبون الزيت المغلي داخل حلوقهم، والقائمة تطول. مرة أخرى، لقد استشهد ما يصل إلى مليونين من القديسين خلال تلك الفترة.
الآن، نبدأ دراستنا في نهاية سفر أعمال الرسل حيث كان بولس قيد الإقامة الجبرية وظل يبشر بإنجيل ملكوت الله (أعمال ٢٨: ٣٠،٣١). أدى ذلك إلى محاكمته حيث تمت إدانته وقطع رأسه. وهذا قد مهد الطريق لما يتوقعه أي مؤمن جديد خلال السنين الثلاثمائة الأولى من عمر الكنيسة. لذلك، عندما يصبح الإنسان مسيحيًا في تلك الأيام، كان هذا يعني أنه على استعداد لفقدان عائلته، وتشريده، واعتقاله وتعرضه للتعذيب والاستشهاد من أجل الرب يسوع، لكنه يظل يشهد حتى الموت. مع ذلك، وبرغم كل هذا، ظلت الكنيسة قوة حصينة لا تُقهر ولا يمكن وقفها. كانت ملح الأرض ونور العالم.

وهنا يلزمنا أن نطرح الأسئلة التالية: "ما هي الصيغة التي أبقت الكنيسة ملتهبة نحو الله لمثل هذه الفترة الطويلة بلا توقف؟ لماذا لم يكتفِ هؤلاء المسيحيون بالصمت ولم يعتبروا المسيحية شأنًا خاصًا فيعيشوا حياة طبيعية؟" أولاً، لم يمكنهم السكوت لأن **الرب يسوع أعطاهم التكليف بالتبشير بالإنجيل في كل مكان،** وإذا لم يفعلوا، فإنهم يعلمون أنه سيخجل منهم في يوم الدينونة وسيخسرون مكانهم في السماء. وثانيًا، لقد بشروا أو شهدوا لأن **نار الله كانت مشتعلة في عظامهم،** نار حب الله وتعاطفه مع الخطاة. ثم إنه من المفهوم أن كل شخص يصبح مبشرًا في يوم ولادته من الله. وثالثًا، كان النمط الذي وضعته الكنيسة الأولى كما هو مسجل في الأصحاح الثاني من سفر أعمال الرسل، هو طريقة عقد اجتماعات الكنيسة على مدار الثلاثمائة سنة التالية، ويشمل ما يلي: ١) توبة جميع المؤمنين وتبنيهم لأسلوب حياة جديد غير نمطي في ظل سيادة السيد المسيح عليهم؛ ٢) تم تعميدهم جميعًا؛ ٣) اجتماعهم بانتظام من أجل الشركة وكسر الخبز والصلاة والتسبيح ودراسة تعاليم الرسل والمشاركة بعضهم مع البعض لتسديد احتياجات كل واحد منهم. بعبارة أخرى "وَجَمِيعُ الَّذِينَ آمَنُوا كَانُوا مَعًا، وَكَانَ عِنْدَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مُشْتَرَكًا"(أعمال ٢:٤١-٤٦). كلمة "بانتظام" تعني يوميًا في تلك الأيام، أما اليوم فكلمة "بانتظام" قد يكون لها معنى مختلف.

كلما اجتمعت الكنيسة كان المؤمنون كلهم جميعًا هناك. كل خدمة في الكنيسة كانت اجتماعًا للصلاة. وكانت كل خدمة في الكنيسة اجتماعًا للتسبيح. وكل خدمة في الكنيسة كانت اجتماعًا للعبادة. كما كانت كل خدمة كنسية "استمرارًا لاجتماع تعليم الرسل"، واجتماعًا للشركة، ووقتًا لكسر الخبز معًا. أرني كنيسة بها كل هذه العناصر وحينئذ تكون قد أريتني كنيسة العهد الجديد. في تلك السنوات الثلاثمائة الأولى كان الناس يذهبون إلى الكنيسة

كعائلة، وليس كمتفرجين على أداء برنامج مملوء بالطقوس التي يؤديها عدد قليل من الناس. كان هؤلاء المؤمنون الجدد في الكنيسة الأولى يشاركون دائمًا في الصلاة والشركة والتسبيح عدة مرات في الأسبوع مما أبقى النيران مشتعلة في قلوبهم بسهولة. بذلك لم تكن هناك حاجة إلى تبشير قسري. كان هناك الكثير من الحياة والحرارة في الكنائس حتى إن **الرب نفسه كان يضيف يوميًا (يضم كل يوم) إلى الكنيسة** من ينبغي أن يخلصوا. اسمح لي أن أطرح عليك السؤال التالي: "هل يمكن للرب أن يعهد إلى كنيستك بمؤمن جديد مليء بالنار الأولى وحب الرب يسوع؟" لا يمكنه ذلك إذا كانت كنيستك في الغالب جماعة من غير المتفرغين أو من المتقهقرين.

كانت الكنيسة الأولى تجتمع أساسًا في المنازل أو الأماكن السرية عندما كان الاضطهاد سائدًا. لم يجلسوا في صفوف تواجه الواعظ أمامهم. كانوا يجلسون في مواجهة بعضهم البعض ويعاينون احتياجات بعضهم البعض منفتحين على بعضهم البعض، وينصح بعضهم البعض، مصلين من أجل بعضهم البعض. كانت اجتماعاتهم شركة في جسد السيد المسيح.

لمدة ثلاثمائة سنة، وعلى الرغم من الاضطهادات، انتشرت المسيحية على طول الطريق من إسبانيا في الغرب إلى الهند في الشرق وإلى اسكتلندا في الشمال وإلى شمال أفريقيا في الجنوب. لم يكن لديهم كتب لتوزيعها لأن المطبعة لم تكن موجودة حتى القرن السادس عشر. كما لم يكن لديهم برامج إذاعية. كانت وسائل النقل هي السير على الأقدام أو ركوب الخيل أو الحمير. كانت الحياة صعبة. عاش نصف المولودين فقط بعد العاشرة من العمر. إلا إن الكنيسة استمرت في الانتصار. مرة أخرى، لم تتوافق الكنيسة مع العالم ولكنها غيرت العالم حتى إنه بحلول عام ٣١١ م، وفقًا لبعض التقديرات، كان ٨٠٪ من جميع الجنود الرومان مسيحيين وأعلن الإمبراطور قسطنطين أن المسيحية هي الدين الرسمي للدولة.

هناك شيء آخر حافظ على قلوب المؤمنين الجدد في تلك الأيام وهو المعايير العالية للمعمودية والتناول المقدس. فعلى الدوام تقريبًا، في البداية كان المؤمن الجديد ينال المعمودية الفورية. ولكن في وقت لاحق، كان على المسيحيين الجدد الانتظار لمدة تصل إلى ثلاث سنوات في نوع من التدريب قبل تعميدهم. وقد أصر هيبوليتوس اللاهوتي، على أن يتم الاستفسار من المؤمن الجيدد عن نمط حياته، وعما إذا كان بعبش حياة صاخبة منحلة أو يتردد على المسرح، أو يشارك في تجارة غير أخلاقية. هذا الحذر في قبول المؤمنين الدخلاء الجدد وتكليفهم بأن يكونوا تحت رعاية إنسان مسيحي ناضج جعل الكنائس الأولى مقاومة تمامًا للمنشغلين جزئيًا بالعالم أو المدعين المخادعين.

هناك عامل آخر حافظ على استقرار الكنيسة الأولى هو تكريمهم لشيوخهم المختبرين المحنكين. قال بولس: "أَمَّا الشُّيُوخُ الْمُدَبِّرُونَ حَسَنًا فَلْيُحْسَبُوا أَهْلًا لِكَرَامَةٍ مُضَاعَفَةٍ، وَلاَ سِيَّمَا الَّذِينَ يَتْعَبُونَ فِي الْكَلِمَةِ وَالتَّعْلِيمِ"(تيموثاوس الأولى ٥:١٧). إن تقديم قيادة الكنيسة للشباب الذين لم يتم اختبارهم بعد، والذين ما زالوا يفتقرون إلى النضج والحكمة، ليس أمرًا كتابيا ولا حكيمًا. إننا بالتأكيد، نحتاج إلى قوة الشباب وحيويتهم، لكن لا بد من أن تكون لدينا قيادة محنكة. وبسبب ذلك، رأت الكنيسة تحقيق نبوءة يوئيل لمدة ثلاثمائة سنةمتتالية: "وَيَكُونُ بَعْدَ ذلِكَ أَنِّي أَسْكُبُ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ، فَيَتَنَبَّأُ بَنُوكُمْ وَبَنَاتُكُمْ، وَيَحْلَمُ شُيُوخُكُمْ أَحْلاَمًا، وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤًى"(يوئيل ٢:٢٨). كان الشباب مع كبار السن يشهدون ويصلون ويكرزون.

بالطبع، هذا لا يعني أن كل شيء كان مثاليًا في هذه الكنائس. على الإطلاق. كان هناك انقسام وصراع كما ترى في رسالة بولس إلى أهل كورنثوس. كما كانت هناك بدع وهرطقات كما نرى في رسائل الرب يسوع إلى الكنائس السبع. وكان هناك أمور جسدانية تحاول السيطرة على كل مؤمن. لكن على

الرغم من كل هذا، **بقيت الحقيقة، إنه بعد ثلاثمائة سنة، أصبح العالم يشبه الكنيسة، وهذا ما نفتقده اليوم.**

بعد توقف الاضطهادات، انتهت الشهادة. أصبحت الكنيسة مؤسسية. والكثيرون من الوثنيين صاروا أعضاءً اسميين في الكنيسة من أجل الاستمتاع بالمعاملة المتميزة للمسيحيين. كان هناك تدهور في المعايير الأخلاقية. ظهرت الشكليات والطقوس في العبادة، مع مجموعة الصلوات والشموع والبخور والملابس. أصبحت الخدمات الكنسية أداءً وليست اجتماعًا للمؤمنين كعائلة.

كان عيد الخمسين حقًا، مصدرًا لكل نهضة في المسيحية. كانت جذوره أعمق من أي مناسبة أعقبته. وظلت إقامة الاحتفال به مستمرة طالما كان المشاركون فيه ملتزمين بالأنظمة الضرورية لإقامته. ولذلك، فالسنوات الثلاثمائة الأولى من عمر الكنيسة لم تكن عصورًا مظلمة. في هذه الفترة المنسيّة كثيرًا، أشرق نور الله بشكل أكثر سطوعًا من أي فترة أخرى مدتها ثلاثمائة سنة. فلندرس هذا مع الصلاة، ونتأمل الدروس القيمة التي يمكن أن نتعلمها من الكنيسة الأولى. وليمنح الروح القدس لجميعنا نوره الإلهي في هذا التكليف المقدس.